آثار البهنسى العلمية

البهنسى مدينة صغيرة معروفة بين بني سويف والمنيا كانت من المدائن العظيمة في زمن الفتح كما تدلُّ آثارها الكثيرة وقد ذكر الواقدي خبر فتحها فملأهُ بالمبالغات حتى كأنهُ قصد تأليف رواية فكاهية لا ذكر حادثة تاريخيَّة فقال خرج صاحبها واسمهُ البطليوس لملاقاة خالد ابن الوليد في عشرين الف فارس وخمسين الف راجل والف وثلثمئة فيل وكان في المدينة مؤونة تكفي اهلها وما فيها من الجيوش عشر سنوات وكان للمدينة سور يمشي عليهِ خيَّالان متكافئان . الى ان قال انهُ استشهد فيها يوم فتحت خمسة آلاف من اصحاب الرسول وانهُ قتل من الروم حينئذٍ ثلثمئة الف وصالح خالد من بقي من اهلها على الف الف مثقال من الذهب والف الف اوقية من الفضَّة وعشرة آلاف وسق من البر والشعير . ثم نكث اهل المدينة عهدهم فقتل خالد منهم ثلاثين الفاً واسر عشرين الفاً وصاروا يجرُّون القتلى في المركبات ويطرحونهم كراديس في الحفر. الى غير ذلك من المبالغات التي لا يصدقها عاقل. ومهما كان اصل هذه هذه الروايات فلا شبهة في ان البهنسى كانت من المدن العظيمة في زمن الفتح وانها كانت من اعظم مدائن النصرانية

ونقل علي باشا مبارك في خططهِ ان مسطح ارض البهنسى كان نحو الف فدان وقال ان المقريزي اطال الكلام عليها في خططهِ فذكر انهُ كان يعمل فيها الستور البهنسيَّة ونسيج المطرَّز والمقاطع السلطانيَّة والمضارب الكبار والثياب المحبَّرة وكان ما يعمل بها شيءٌ من الستور يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعاً وقيمة الزوج منهُ مئتا مثقال ذهب واذا صُنع بها شيءٌ من الستور والاكسية من الصوف او القطن فلا بدَّ من ان يكون فيها اسم المتخذ لهُ مكتوباً . وكانت وقت فتح بلاد مصر حصينة الاسوار منيعة الابراج وكان لها اربعة ابواب في الجهات الاربع لكل باب ثلاثة ابراج وكان بها اربعون رباطاً وكنائس وقصور فلما أُخذت بالفتح تغيَّرت معالمها واندرس كثير من آثارها . واكثر اعمدة الجوامع القديمة أُخذت من كنائسها وهي معابد المصريين الاول . الى ان قال " فلو ازيلت الرمال عن انقاضها لظهر من آثارها اشياء كثيرة تنبئ عن تواريخ مدة الرومانيين واليونانيين وغيرهم "

هذا ما ذكرهُ علي باشا مبارك في خططهِ وقد تحقق قولهُ الآن على اكثر مما ظنَّ فكشف اهل التنقيب بين انقاض البهنسى كتابات كثيرة من عهد اليونان والرومان واهم ما كشفوهُ

المجد ذوات العمد الطوال. جدرانها مرصعة بالجواهر وقبابها مبطنة بالنضار الناصر ووراءها نهر الجمنا يسيل ماؤهُ كذوب اللجين . ولا تظهر عظمة التاز في جزء من اجزائهِ اذا شوهد على حدة لما فيهِ من دقة الصناعة وفخافة النقش فتضيع معها فخامة البناء لأن العقل والاختبار لم يعتادا رؤية هذه الدقة مع هذه الفخامة . فهو من بناء الجبارين وصوغ الصاغة الماهرين خلية فخيمة قاعدتها ١٨٦ قدماً مربعةً وارتفاعها مئتا قدم أُنفق عليها اكثر من مليونين من الجنيهات تسمع الاصداء تحت قبابهِ كاشجى الانغام لانهُ خاوٍ خالٍ ليس فيهِ غير قبر وما حواهُ من رغام"

وقال القس هتشنصن في كتابهِ الحديث عن ملوك العالم "التاز حلم في رخام كما قيل على ضفة نهر جمنا قرب مدينة اكرا انشأهُ السلطان شاه جهان مدفناً لزوجتهِ ارجمند بنو بكم الملقبة بممتاز محال التي توفيت سنة ١٦٢٩ وهو صاحب العرش المعروف بذنب الطاووس الذي غنمهُ نادرشاه ملك الفرس ونقلهُ الى بلاد فارس وكان فيهِ الماسة الشهيرة المعروفة بقوه نور اي جبل النور وهي الآن من جواهر ملوك الانكليز

"والتاز مبني بحجارة حمراء ورخام ابيض ومرصع من الداخل بجواهر كريمة في جدرانهِ عضائد من المرمر الاسمر والبنفسجي كأنها حواشٍ لما تحيط بهِ من النقوش وفي الغرف الاربع التي على زواياهُ صفائح كبيرة من الرخام الابيض عليها ازهار مصنوعة من الحجارة الكريمة المختلفة الالوان والاقدار وهي محكمة القطع والوضع حتى تظنها ازهارًا طبيعيةً وفي الزهرة الواحدة مئة حجر كريم او اكثر . وقبر الملكة وزوجها تحت القبة الوسطى ضمن درابزون من المرمر وفوق كل ركن من اركانهِ الاربعة قبة مثل القبة العليا شكلاً على قناطر دقيقة والقبران مغطيان بالازهار المصنوعة من الجواهر الثمينة"

وكتب المستر هفل من مدرسة الفنون في كلكتا مقالة مسهبة في مجلة القرن التاسع عشر بحث فيها عن باني التاز بحثاً مستفيضاً قال فيهِ "الشائع ان باني التاز بناء ايطالي ومزخرفهُ نقاش فرنسوي كانا في خدمة شاه جهان . الاَّ ان هذا مبنيٌّ على ظنون ليس لها سند تاريخي . والاوربيون ومن يحذو حذوهم من المنود اهل النشأة الجديدة يخطئون في حكمهم على الفنون الهندية ولا يقدرونها قدرها لانهم لا ينظرون اليها بكل ملابساتها ولا يجرّدون انفسهم عما رسخ فيها من احتقار الفنون الشرقية . وكأنهم نسوا ان صناعة التصوير والنقش في بلاد الهند متصلة بصناعة البناء لانها قائمة بزينتها فهي غير مفصولة عنها كما هي مفصولة في اوربا حيث انحطت صناعة التصوير حتى صارت واسطة لتزيين غرف الأكل والاستقبال

"والتاز منتهى ما وصلت اليهِ الفنون الهندية فاذا ثبت ان بانيهُ وناقشهُ من الاوربيين

ثبت ان الصناعة المندية لا تبلغ حدها من الاتقان الاَّ اذا ساعدها ذكاء الصناع الاوربيين . وعليهِ وجب ان نبحث في الادلة التاريخية التي تثبت ما تقدم من ان باني التاز ايطالي وناقشهُ فرنسوي . ومن المحقق ان الذي انشأ التاز هو شاه جهان انشأهُ مدفنًا لزوجتهِ ممتاز محال التي توفيت نفساء سنة ١٦٣٩ فحزن عليها حزنًا مفرطًا وعزم ان يبني لها مدفنًا يكون اعجوبة الزمان فاستدعى امهر بنائي سلطنتهِ من شيراز وبغداد وسمرقند وامرهم ان يصنعوا لهُ رسومًا واختار واحدًا منها وامر صانعهُ ان يصنع لهُ مثالاً من الخشب ثم بني التاز على هذا المثال

"اما هذا البنَّاء او المهندس فمؤرخو الهنود متفقون كلهم على ان اسمهُ الاستاذ عيسى ثم اختلفوا في وطنهِ فقال بعضهم انهُ شيرازي وقال غيرهم انهُ رومي. وشكل التاز يدلُّ على ان بانيهُ شيرازي ولكن يحتمل انهُ اقام في القسطنطينية عاصمة بلاد الروم واستخدمهُ سلاطين آل عثمان قبل بنائهِ للتاز . وخالفهم الاب منريك الكاهن الاسباني الذي رأى التاز بعد الشروع في بنائهِ بعشر سنوات وقال ان بانيهُ رجل من اهل البندقية اسمهُ جيرونيمو ڤرونيو"

واورد الكاتب ادلة كثيرة على نقض هذا الخبر مما لا محل لاستيفائهِ هنا . وقال انهُ كان للتاز بابان من الفضة النقية أُنفق عليهما ١٢٧ الف ربيَّة نُزعا وصُهرا لما نهب الجات مدينة اكرا . والدرابزون الذي حول القبر كان اولاً من الذهب الابريز مرصعًا بالجواهر فمن المحتمل ان يكون شاه جهان استخدم اوستن الصائغ الفرنسوي في صياغة البابين والدرابزون ولكن مَن يمعن نظرهُ في المباني الكثيرة التي بنيت في ايام السلطان اكبر وما بعدهُ الى ايام شاه جهان وما فيها من بديع النقش والزخرفة يجد انها كلها شرقية نشأت وارتقت في بلاد المشرق فان العرب كانوا اولاً يبنون مبانيهم من الاجر ويغطونها بقطع من المرمر المختلف الالوان منظومة من اشكال هندسيَّة لانهم كانوا من السنيَّة الذين لا يجيزون رسم الصور فلما وجدوا حجارة البناء من الرخام ابطلوا اسلوبهم الاول وجعلوا يزخرفون الرخام بالنقش والترصيع ثم لما وصلت هذه الصناعة الى الشيعة وهم لا يحرّمون تصوير الصور تركوا الاشكال المندسيَّة ورسموا بدلاً منها الصور الطبيعيَّة. وشاع ذلك قبل بناء التاج كما يرى في مدفن اعتماد الدولة جد السلطانة ممتاز محال فانهُ مغطًّى بالنقش المسمى بالمطيف وفيهِ المزاهر واشجار السرو واشكال مختلفة من الازهار . وتاريخ بنائهِ سنة ١٦٢٢ والتاز اكثر اتقانًا من مدفن اعتماد الدولة من هذا القبيل لان مدفن اعتماد الدولة تمثَّل فيهِ الصور الفارسيَّة تمثيلاً واما التاز فالصور التي فيهِ تمثل الاشكال الطبيعيَّة نفسها اجابةً لطلب شاه جهان الذي اراد ان يكون مدفن زوجتهِ اجمل ما صُنع في الدنيا

الكتاب المعروف باللوجيا او اقوال المسيح استخرجوهُ من ارضها سنة ١٨٩٧ فكان لهُ اعظم شان في الدوائر العلميَّة والدينية

وقد كتب المستر غرنفل والمستر هنت الباحثان الشهيران يصفان ما كُشف حديثًا من الكتابات اليونانية واللاتينية في آثارها فقالا

رجعنا الى البهنسى في شهر فبراير الماضي حيث كان من نصيبنا ان نجد مجموعًا كبيرًا من صفائح البردي اليونانية سنة ١٨٩٧ . وقصرنا النقب هذه النوبة على تلَّين فنزعنا الردم منهما حتى وصلنا الى الارض المبللة بماء النيل حيث لا يرجى وجود صفائح سليمة لو كانت هناك واكملنا نزع الردم منهما في ستة اسابيع فوجدنا مقدارًا كبيرًا من صفائح البردي من القرون الاربعة الاولى حتى كأن التلين نفايات مكتبة كبيرة حافلة بالكتب الادبية والدينية . وقد وصلت هذه الصفائح الآن الى مدرسة اكسفرد وقرئ بعضها وفي جملتها مجموعة اقوال المسيح وهي من القرن الثالث ولغتها تشبه لغة اللوجيا التي كشفت في البهنسى سنة ١٨٩٧ وبعض هذه الاقوال وارد في اماكن اخرى كقولهِ " ان ملكوت الله داخلكم " وقولهِ " كثيرون اولون يكونون آخرين وآخرون اولين " . وبعضها جديد لم يرَ من قبل ولها مقدِّمة يقال فيها " الاقوال التي قالها المسيح الرب الحي لاثنين من تلاميذهِ " . وبعض هذه الاقوال مختوم بقولهِ " من يتعجب يملك ومن يملك يستريح " . وقد استشهد اكليمدضس الاسكندري بهذه العبارة وقال انها واردة في انجيل العبرانيين . فمن المحتمل ان هذه الاقوال كلها مقتبسة من هذا الانجيل او من انجيل المصريين اما نحن فنرجح ان هذه الاقوال والاقوال الاولى التي في اللوجيا كان كلٌّ منها مجموعًا في كتاب على حدة ومحسوبة كانها اقوال المسيح

ووجد بُردي مكتوب باللاتينية من القرن الثالث فيهِ ملخص بعض كتب ليڤيوس اعظم مؤرخي رومية . وكتب ليڤيوس التي بعد الكتاب الخامس والاربعين مفقودة الآن لا يوجد الاَّ ملخصها اما الملخص الذي وجد في البهنسي ففيهِ زبدة الكتاب السابع والثلاثين الى التاسع والثلاثين وزبدة الكتاب التاسع والاربعين الى الخامس والخمسين . والذي خلص هذه لم يختر الحوادث التي اختارها صاحب الملخص المعروف . والملخص الذي وجد الآن كتب عليهِ احد المسيحيين جانبًا كبيرًا من الرسالة الى العبرانيين فهي اقدم ما وجد من العهد الجديد مكتوبًا على ورق البردي . ووجد بين هذه الصفائح ايضًا جانب من سفر التكوين فهو اقدم ما وجد من نسخ التوراة حتى الآن

ومما قرئ من الكتابات غير الدينيَّة

(١) اناشيد كتبت في القرن الاول قبل المسيح من نظم شاعرة لعلها كورنا معلمة بندار وعلى الجانب الآخر من ذلك البردي مقاطيع كثيرة من نظم الشعراء ليونيدس وانتيباتر وامنتاس وكلها جديدة لم تعرف لهم قبلاً

(٢) محاورة فلسفية بين الطاغية نيستراتس وبريفور وصولون وغيرهم من المشاهير

(٣) بردي من القرن الثاني فيه ابتهالات لالهة ذكرت اوصافها وقيل انها كانت معبودة في مصر وفي كل المسكونة وعلى الجانب الآخر من هذا البردي وصف علاج شافر استنبطهُ امهوتر وهو بمثابة اله الطب عند اليونان

ومن رأي الكاتبين ان تلال البهنسى لا تنقب كلها في اقل من ثلاث سنوات ولا بدَّ من ان يكشف فيها كثير من الكنوز العلميَّة فعسى ان تهتم الحكومة بحفظها من ايدي المتلفين الى ان تصل اليها ايدي العلماء المدققين

شرح الاحكام الشرعية

في الاحوال الشخصية

الشريعة الاسلامية واسعة النطاق كثيرة الفروع دقيقة الاختلافات صعبة المنال لوجود اصولها متفرقة في كتب القوم ولتشعُّب المذاهب فيها. وقد قضى الطلاَّب قرونًا عديدة يستقونها من المصنفات الكبيرة كابن عابدين والبحر والنهر والزيلعي وغيرها مما يستغرق تصفحهُ السنين الطوال ناهيك عن درسهِ بامعان ودقة حتى خطر للمرحوم قدري باشا ان يجري فيها مجرى الغربيين في كتبهم القانونية لجمع الاحكام الشرعية المختصة بالاحوال الصحية والمعاملات ورتبها في مواد لسهولة حفظها ومراجعتها . والكتاب الذي امامنا هو الجزء الاول من شرح لكتاب المرحوم قدري باشا المسمَّى بالاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية وضعهُ حضرة العالم المحقق الشيخ محمد زيد الابياني مدرس الشريعة الاسلامية في مدرسة الحقوق الخديوية توخَّى فيهِ تقريب هذه الاحكام من الطلبة مقتصرًا على ما تهم معرفتهُ للطالب والمحامي فجاء وافيًا بالغرض لاغنى عنهُ للمشتغلين بهذا الفن الجليل

وقد سلك الشارح افضل الطرق في تمحيص اقوال الائمة مختارًا الاظهر منها او ما كان اكثر موافقة للعصر الحاضر ولاسعاد العباد اذ ان الشرائع وُضعت لراحة الانسان لا لتكون حجر عثرة في سبيلهِ . وامثلة ذلك في الكتاب كثيرة منها انكارهُ رأي القائلين ان الاصل